الإلــه المزيّــف

حين يصنع الإنسان صورةً لله على مقاسه

بقلـــم

د. مصطفـى ســوادي جاســم

باحث في مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

مقدمة

لعل أعظم سؤال رافق الإنسان منذ بداية الخليقة لم يكن سؤال الحياة أو الموت، بل سؤال الله، **فمن هو؟ وكيف يمكن معرفته؟ ولماذا اختلف الناس في تصوره إلى هذا الحد؟** لقد كانت رحلة الإنسان نحو الله طويلة، لكنها لم تكن دائمًا رحلة نحو الحقيقة، بل كانت في أحيان كثيرة رحلة نحو ذاته؛ إذ كثيرًا ما صنع الإنسان صورةً للإله تشبهه هو أكثر مما تعبّر عن الحقيقة الإلهية.

ومن هنا يمكن القول إن تاريخ الحضارات ليس تاريخ البحث عن الله فحسب، بل هو أيضًا تاريخ صناعة الآلهة؛ فكل حضارة، بل وكل إنسان، كان يحمل صورةً ذهنية للإله تتأثر بخوفه ورجائه وثقافته ومصالحه، ولهذا لم تكن الأصنام دائمًا من حجر، بل قد تكون فكرةً، أو سلطةً، أو رغبةً، أو حتى تصورًا خاطئًا عن الله.

المحور الأول: كيف وُلدت فكرة الإله؟

يُعدّ السؤال عن أصل فكرة الإله من أكثر الأسئلة حضورًا في الفلسفة، وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، وعلم الأديان المقارن، فهل بدأ الإنسان مؤمنًا بإله واحد ثم انحرفت معتقداته مع الزمن، أم أنه بدأ بعبادة قوى الطبيعة ثم تطورت أفكاره الدينية تدريجيًا؟ وقد انقسم الباحثون في الإجابة عن هذا السؤال إلى مدارس متعددة، ولا يزال النقاش العلمي والفلسفي مفتوحًا حتى اليوم.

ترى طائفة من الباحثين في تاريخ الأديان أن الإنسان الأول وجد نفسه أمام كون هائل تتجاوز ظواهره قدرته على الفهم؛ فالبرق والرعد، وتعاقب الليل والنهار، والشمس والقمر، وتعاقب الفصول، والموت والولادة، والفيضانات والجفاف، كلها أحداث بدت له خارجة عن إرادته وسيطرته. وأمام هذا العجز، بدأ يبحث عن قوة خفية تفسر ما يجري حوله، فاعتقد أن وراء كل ظاهرة روحًا أو كائنًا غير مرئي يتحكم بها، ومن هنا ظهرت المعتقدات الروحية الأولى، ثم تطورت إلى عبادة عناصر الطبيعة، فكانت الشمس إلهًا للنور، والقمر إلهًا للخصب، والنهر مصدرًا للحياة يستحق التقديس، والجبال موطنًا للقوى الغيبية.

ومع تطور المجتمعات الزراعية وظهور المدن، أصبحت الآلهة أكثر تنظيمًا، فلكل مدينة إلهها الحامي، ولكل مهنة إلهها، ولكل جانب من جوانب الحياة ربٌّ يتولى أمره، ولم تعد الآلهة مجرد قوى طبيعية، بل اكتسبت صفات إنسانية؛ فهي تغضب، وترضى، وتحب، وتحارب، وتتزوج، وتنجب، تمامًا كما يتخيلها الإنسان، وفي هذه المرحلة، لم يكن الإنسان يعبد الحجر أو الخشب لذاته، بل كان يرى في التمثال رمزًا لحضور القوة الإلهية أو تجسيدًا لها.

وتكشف حضارات وادي الرافدين، ووادي النيل، والهند، والصين، واليونان القديمة، عن تنوع كبير في صور الإله، لكنها تشترك جميعًا في محاولة تفسير الكون وإيجاد نظام يمنح الحياة معنى؛ ففي بلاد الرافدين ارتبطت الآلهة بالخصب والحرب والسماء، وفي مصر القديمة تجلت في صور بشرية وحيوانية، بينما جسّد الإغريق آلهتهم على هيئة بشر يمتلكون قوى خارقة، لكنهم يحملون أيضًا نقاط ضعف الإنسان وشهواته وصراعاته.

إلا أن هذا التطور لم يكن مجرد تطور ديني، بل كان انعكاسًا لتطور المجتمع نفسه؛ فكلما تعقدت الحياة الاجتماعية، أصبحت صورة الإله أكثر تعقيدًا، فالإنسان، في كثير من الأحيان، لم يكن يكتشف الإله بقدر ما

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

كان يعيد تشكيل صورته بما ينسجم مع واقعه الثقافي والسياسي والاقتصادي.

ومع نشوء الدول والإمبراطوريات، دخلت السلطة على خط المقدس، فأصبحت الشرعية السياسية تُستمد من الدين، وأُضفيت على الحكام صفات استثنائية، ففي بعض الحضارات اعتُبر الملك ممثلًا للإله في الأرض، وفي حضارات أخرى عُدَّ ابنًا للإله، بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى تأليهه بصورة مباشرة. وهكذا أصبحت طاعة الحاكم جزءًا من العقيدة، وأصبح الخروج عليه يُعد خروجًا على الإرادة الإلهية.

ومن زاوية علم النفس، يرى عدد من الباحثين أن الإنسان يمتلك ميلًا فطريًا للبحث عن معنى يتجاوز وجوده الفردي، وعن قوة يشعر أمامها بالأمان في مواجهة الخوف من الموت والمجهول، ولهذا فإن فكرة الإله لم تختفِ حتى في المجتمعات الحديثة التي شهدت تراجعًا للدين؛ إذ غالبًا ما حلّت محلها منظومات فكرية أو سياسية أو اقتصادية اكتسبت قداسة تشبه قداسة المعتقدات الدينية.

أما الرؤية الإسلامية، فتقدم تفسيرًا مختلفًا لأصل فكرة الإله؛ فهي لا ترى أن الإنسان اخترع الإيمان نتيجة خوفه من الطبيعة، وإنما تؤكد أن معرفة الله مغروسة في الفطرة الإنسانية منذ البداية، وأن الانحراف وقع لاحقًا عندما ابتعد الإنسان عن الهداية الإلهية، ويشير القرآن الكريم إلى أن الأصل هو التوحيد، وأن الشرك وعبادة الأصنام كانا انحرافًا عن هذا الأصل، لا نقطة البداية له. ومن هذا المنظور، لم تكن مهمة الأنبياء اختراع فكرة الله، وإنما إعادة الإنسان إلى الفطرة التي فُطر عليها، وتصحيح الصورة التي شوّهتها الأهواء والعادات والمصالح.

ومن هنا يمكن فهم تاريخ الأديان على أنه ليس مجرد انتقال من الوثنية إلى التوحيد أو العكس، بل هو تاريخ جدلية مستمرة بين البحث عن الحقيقة وصناعة الصورة، فكلما عجز الإنسان عن إدراك الحقيقة، مال إلى رسم صورة للإله تشبه عالمه، وكلما جاءت الرسالات الإلهية، سعت إلى تحرير الإنسان من هذه الصور، وإعادته إلى عبادة الله الذي لا تحده الأوهام، ولا تصنعه المخيلة، ولا تفرضه المصالح.

وهكذا، فإن السؤال الحقيقي ليس: **متى ظهرت فكرة الإله؟** بل: **هل كان الإنسان يبحث عن الله كما هو، أم كان يبحث عن صورة تمنحه الطمأنينة وتنسجم مع احتياجاته؟** وهذا السؤال سيبقى مفتاحًا لفهم تطور الفكر الديني عبر التاريخ، كما سيقودنا إلى المحور التالي، وهو: **كيف يصنع الإنسان صورته الخاصة عن الله؟**

المحور الثاني: الله كما نريده... لا كما هو

إذا كان السؤال الأول في تاريخ الإنسان هو: هل يوجد إله؟، فإن السؤال الأعمق هو: كيف يتصور الإنسان هذا الإله؟ فالإيمان بوجود الله لا يعني بالضرورة الاتفاق على حقيقته أو صفاته أو علاقته بالعالم والإنسان، ولهذا كان الاختلاف بين البشر في تصور الله أكبر بكثير من اختلافهم في أصل الإيمان بوجود قوة عليا.

فالإنسان لا ينظر إلى الله بعين مجردة، وإنما ينظر إليه من خلال عدسات متعددة؛ عدسة الثقافة التي نشأ فيها، وعدسة الأسرة التي ربته، وعدسة التجارب التي عاشها، وعدسة البيئة الدينية والاجتماعية التي أحاطت به، ولهذا فإن صورة الله في ذهن الإنسان كثيرًا ما تكون انعكاسًا لشخصيته بقدر ما تكون انعكاسًا للحقيقة.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

ولعل هذا ما يفسر لماذا يعبد الناس الإله نفسه، لكنهم يتحدثون عنه بطرق مختلفة؛ فالمحب يرى الله محبةً ورحمة، والخائف يراه عقابًا وانتقامًا، والمظلوم يراه عدلًا مطلقًا، والغني يراه واهبًا للنعم، والمريض يراه شافيًا، والفيلسوف يراه حقيقة الوجود، والمتصوف يراه محبوبًا، والعالم يراه النظام الذي يحكم الكون. وكل واحد من هؤلاء لا ينكر الله، لكنه يقترب من صفة معينة حتى تكاد تصبح هي الصورة الكاملة في ذهنه.

وقد شغل هذا السؤال عقول الفلاسفة منذ آلاف السنين، لأنهم أدركوا أن الحديث عن الله ليس مجرد حديث عن كائن أعلى، بل عن أصل الوجود نفسه، إذ رأى أفلاطون أن الحقيقة العليا تتمثل في الخير المطلق، وهو المبدأ الذي تستمد منه الموجودات كمالها ومعناها، أما أرسطو، فقد انتهى بعقله إلى ضرورة وجود المحرّك الأول؛ ذلك الموجود الكامل الذي يحرك الكون من غير أن يتحرك، ويُعد العلة الأولى لكل ما في الوجود.

ومع تطور الفلسفة الأوروبية، ظهرت تصورات أكثر تنوعًا، فقد رأى باروخ سبينوزا أن الله ليس موجودًا منفصلًا عن الكون، بل إن الطبيعة ذاتها هي التجلي الإلهي، وهي رؤية أثارت جدلًا واسعًا لأنها ألغت الفاصل بين الخالق والعالم. أما إيمانويل كانط فقد اعتبر أن العقل النظري عاجز عن إثبات حقيقة الله أو الإحاطة بذاته، لكنه رأى أن الإيمان بالله ضرورة أخلاقية، لأن العدالة المطلقة والمعنى الأخلاقي للوجود يقتضيان الإقرار بوجود مرجعية عليا.

وهذه الاختلافات الفلسفية تكشف أن الإنسان كثيرًا ما كان يحاول فهم الله من خلال الأسئلة التي تشغله؛ فالفيلسوف الذي يبحث عن أصل الكون يصوغ مفهومًا لله يختلف عن مفهوم الفيلسوف الذي يبحث عن الأخلاق أو الحرية أو المعرفة.

أما علم النفس، فقد اقترب من القضية من زاوية مختلفة، فلم يسأل: **من هو الله؟**، بل سأل: **كيف تتكون صورة الله في ذهن الإنسان؟**

فقد رأى سيغموند فرويد أن مفهوم الإنسان عن الله قد يتأثر بخبرته الأولى مع الأب؛ فالطفل الذي يشعر بالحماية أمام والده قد ينقل هذا الإحساس إلى صورة الله بوصفه الأب الأكبر والحامي المطلق. ومن هذا المنطلق، اعتبر فرويد أن بعض أشكال التدين يمكن فهمها بوصفها امتدادًا لحاجات نفسية عميقة، ورغم أن هذا التفسير أثار نقاشًا واسعًا، فإنه فتح الباب أمام دراسة العلاقة بين التجربة الشخصية والتصور الديني.

أما كارل يونغ فقد خالف أستاذه فرويد في كثير من النقاط، ورأى أن الميل إلى الإيمان ليس مجرد انعكاس لعقدة نفسية، بل هو تعبير عن نموذج أصيل (Archetype) كامن في أعماق النفس الإنسانية، يظهر بأشكال مختلفة في جميع الحضارات والثقافات، ووفق هذا التصور، فإن البحث عن الله جزء من البنية العميقة للإنسان، وليس مجرد استجابة ظرفية للخوف أو الحاجة.

وفي اتجاه آخر، رأى إريك فروم أن الإنسان يصنع أحيانًا صورة لله تعكس احتياجاته النفسية والاجتماعية؛ فقد يكون الله في ذهنه رمزًا للأمن، أو للسلطة، أو للمحبة، أو للتحرر، بحسب ما يفتقده في حياته. ولذلك فإن صورة الله قد تصبح، في بعض الأحيان، مرآةً لحاجات الإنسان أكثر من كونها تعبيرًا عن الحقيقة الإلهية.

غير أن هذه الرؤى جميعًا، على اختلافها، تلتقي عند حقيقة مهمة، وهي أن الإنسان لا يتعامل دائمًا مع الله كما هو، وإنما مع الصورة الذهنية التي كوّنها عنه، وهذه الصورة قد تكون قريبة من الحقيقة، وقد تكون مشوهة،

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

وقد تكون ناقصة، لأنها تمر عبر خبرة الإنسان المحدودة، ولغته، وثقافته، وتجاربه، وانفعالاته.

ومن هنا جاءت الرسالات السماوية، ولا سيما في الرؤية الإسلامية، لتضع حدًا لهذه الإسقاطات البشرية. فالقرآن الكريم لا يكتفي بإثبات وجود الله، بل يصحح الطريقة التي يفكر بها الإنسان في الله، ويؤكد أن الذات الإلهية لا تخضع للمقاييس البشرية، وأن الإنسان لا يجوز أن يصنع الله على صورته، بل عليه أن يسعى إلى معرفة الله من خلال ما عرّف به نفسه، ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ ليهدم كل محاولة لاختزال الله في صورة ذهنية أو تشبيه بشري، وليؤسس لفهم يقوم على التنزيه مع المعرفة، وعلى العقل مع الوحي.

المحور الثالث: الرؤية الإسلامية... تصحيح الصورة لا اختراعها

إذا كانت الفلسفات قد حاولت الوصول إلى الله بالعقل، وعلم النفس حاول تفسير صورة الله من خلال التجربة الإنسانية، فإن الرؤية الإسلامية تنطلق من سؤال مختلف: ليس كيف اخترع الإنسان فكرة الله، بل **كيف انحرفت صورة الله في ذهن الإنسان؟** فالإسلام لا يرى الإيمان بالله اختراعًا بشريًا نشأ مع تطور الحضارات، وإنما يراه حقيقة فطرية أودعها الله في النفس الإنسانية، ثم جاءت الرسالات لتوقظ هذه الفطرة كلما غطّتها الأهواء والعادات والانحرافات.

ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ (الروم: 30)، كما يقول: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ (الأعراف: 172)، في إشارة إلى الصلة الفطرية بين الإنسان وخالقه.

ومن هذا المنطلق، فإن مهمة الأنبياء لم تكن إقناع الإنسان بوجود الله فحسب، بل إزالة التشوهات التي أصابت معرفته بالله؛ فقد يعرف الإنسان أن للكون خالقًا، لكنه يخطئ في تصور صفاته أو في طريقة عبادته، فيخلط بين الخالق والمخلوق، أو يمنح بعض المخلوقات قداسة مطلقة.

ولهذا لا يكتفي القرآن بإثبات وجود الله، بل يعمل على تصحيح مفهومه؛ فيقدمه خالقًا ورحمنًا ورحيمًا وعليمًا وحكيمًا، ويوازن في صفاته بين الرحمة والعدل، وبين المغفرة والمحاسبة، حتى لا تنتقي النفس من صفاته ما يوافق هواها.

ومن أهم المبادئ الإسلامية في ذلك التنزيه، أي أن الله لا يشبه شيئًا من خلقه، كما يقول تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ (الشورى: 11). فالله لا يمكن اختزاله في صورة بشرية أو ذهنية محدودة.

وهذا المعنى يتجلى بعمق في كلام الإمام علي عليه السلام، إذ يقول: "أوّلُ الدين معرفتُه، وكمالُ معرفتِه التصديقُ به، وكمالُ التصديقِ به توحيدُه، وكمالُ توحيدِه الإخلاصُ له". فالتوحيد عنده ليس مجرد القول بأن الله واحد، بل يبدأ من المعرفة وينتهي إلى الإخلاص، أي تحرير القلب من كل شريك ينافس الله في المرجعية والعبادة.

ويقول أيضًا: "الذي لا يبلغه بُعدُ الهمم، ولا يناله غوصُ الفطن"، في إشارة إلى أن الإنسان يستطيع معرفة الله، لكنه لا يستطيع الإحاطة بحقيقته إحاطة كاملة. ويقول: "لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان"، بما يؤكد أن الله ليس شيئًا ماديًا يمكن اختزاله في صورة حسية.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

ولهذا يحذر الإمام علي عليه السلام من تحويل الله إلى صورة محدودة فيقول: "من وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه"؛ أي إن المشكلة تبدأ عندما يحاول الإنسان أن يجعل المطلق شبيهًا بالمحدود، أو يقيس الخالق بمقاييس المخلوق.

ولا يقتصر التوحيد على تصحيح صورة الله، بل يحرر الإنسان من عبودية ما سواه، ولهذا يقول الإمام علي عليه السلام: "لا تكن عبدَ غيرك وقد جعلك الله حرًّا". فالإنسان قد لا يسجد لصنم، لكنه قد يصبح عبدًا للمال، أو السلطة، أو الجماعة، أو الشهرة، أو الهوى.

ومن هنا يصبح التوحيد مشروعًا لتحرير الإنسان: تحرير العقل من الوهم، والقلب من التعلق المطلق بغير الله، والإرادة من الخضوع للهوى، فالأنبياء لم يحطموا الأصنام لأنها حجارة فحسب، بل لأنها كانت تمثل صورًا مزيفة عن الله، وتمنح المخلوقات سلطة لا تستحقها.

وهكذا، فإن الإسلام لا يقدم تصورًا جديدًا لله بقدر ما يدعو الإنسان إلى العودة إلى الحقيقة التي فُطر عليها، وتنقية إدراكه من الأوهام والإسقاطات؛ فالله لا يُعرف بما تتخيله النفوس، ولا بما تصنعه الثقافات، وإنما بما عرّف به نفسه، وبما يقود إليه العقل السليم إذا تحرر من الهوى.

وهنا تكمن المسافة بين الإله الحق والإله المزيّف: فالإله الحق هو الذي يعيد الإنسان إلى الحقيقة، أما الإله المزيّف فهو الصورة التي يصنعها الإنسان عن الله ثم يجعلها خادمةً لأهوائه ومصالحه. ولذلك فإن التوحيد الحقيقي لا يعني فقط أن نؤمن بأن الله واحد، بل أن نتحرر من كل ما نحوله في حياتنا إلى إله بديل.

المحور الرابع: الإله المزيّف في العصر الحديث

قد يظن البعض أن عبادة الأصنام أصبحت جزءًا من الماضي، وأن الإنسان المعاصر قد تجاوز تلك المرحلة مع تقدم العلم والتكنولوجيا، لكن التأمل في طبيعة المجتمعات الحديثة يكشف أن الأصنام لم تختفِ، بل غيّرت أشكالها ووسائل تأثيرها، فلم تعد تُنحت من الحجر أو الخشب، وإنما تُصنع من الأفكار، والمصالح، والصور الذهنية، وأنماط الحياة، حتى أصبحت أكثر خفاءً وأشد قدرة على التأثير.

فقد يتحول المال إلى إله عندما يصبح القيمة العليا التي تُقاس بها كرامة الإنسان، فيُضحّى بالضمير والأسرة والعلاقات والمبادئ من أجل مزيد من الثروة، وقد تتحول السلطة إلى معبود عندما تُقدَّس القوة، ويُبرَّر الظلم، ويُصبح الحاكم أو الحزب أو المؤسسة فوق النقد والمساءلة، كما قد تصبح الشهرة إلهًا جديدًا، حين يقيس الإنسان قيمته بعدد المتابعين والإعجابات، ويصبح الاعتراف الاجتماعي أهم من الحقيقة نفسها.

وفي عالم اليوم، قد تتخذ الوثنية صورًا أكثر تعقيدًا؛ فقد تتحول الأيديولوجيا إلى عقيدة مغلقة، فيرفض الإنسان كل فكرة لا تنتمي إلى منظومته الفكرية، لا لأنها خاطئة، بل لأنها تهدد انتماءه، وقد يصبح الاستهلاك غاية في ذاته، فتُقاس السعادة بما يملك الإنسان لا بما يكونه، وتتحول الرغبات إلى احتياجات لا تنتهي، حتى يصبح السوق هو الذي يعيد تشكيل القيم والأذواق والهوية.

غير أن أخطر الأصنام جميعًا هو الهوى؛ لأنه لا يأتي من الخارج، بل ينبع من داخل الإنسان نفسه. فالهوى قادر على تبرير الخطأ، وتزيين الباطل، وإقناع الإنسان بأن رغباته هي الحقيقة المطلقة، ولهذا أشار القرآن الكريم

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

إلى هذا النوع من العبودية الخفية بقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾،(الجاثية: 23)، في تصوير بليغ لحالة يصبح فيها الإنسان خاضعًا لرغباته كما يخضع العابد لإلهه.

ومن هنا فإن الوثنية الحديثة ليست سجودًا لتمثال، وإنما هي تحويل أي قيمة نسبية إلى قيمة مطلقة، وأي وسيلة إلى غاية، وأي مخلوق إلى مرجعية نهائية، فعندما يحتل المال أو السلطة أو الشهرة أو الحزب أو القومية أو حتى الذات الإنسانية المكان الذي ينبغي أن تحتله القيم الإلهية، يكون الإنسان قد صنع لنفسه "إلهًا مزيّفًا"، وإن لم ينطق بذلك أو يشعر به.

إن الفرق بين الأصنام القديمة والأصنام الحديثة أن الأولى كانت تُرى بالعين، أما الثانية فتسكن العقول والقلوب، ولهذا يكون اكتشافها أكثر صعوبة، والتحرر منها أكثر مشقة. ومن هنا تبقى رسالة التوحيد رسالةً متجددة في كل عصر؛ فهي لا تدعو فقط إلى هدم التماثيل، بل إلى تحرير الإنسان من كل ولاء مطلق لغير الله، ومن كل فكرة أو شهوة أو مصلحة تنافس الحقيقة في قلبه وعقله، لأن الحرية الحقيقية تبدأ عندما لا يصبح في حياة الإنسان ما يستحق الطاعة المطلقة إلا الله سبحانه وتعالى.

الاستنتاجات

1. الإيمان بالله أقدم من صور التدين المتعددة؛ فالإنسان بحث منذ بداياته عن قوة عليا تمنح الوجود معنى وتفسر المجهول.
2. لم يختلف البشر في الإيمان فقط، بل في تصورهم لله؛ فكل مجتمع وإنسان قد يصنع صورة ذهنية تتأثر بالثقافة والتربية والخوف والحاجة والتجربة.
3. الإله المزيّف ليس بالضرورة صنمًا من حجر؛ فقد يكون مالًا أو سلطة أو شهرة أو جماعة أو أيديولوجيا أو هوى.
4. أخطر صور الانحراف أن يتحول الهوى إلى مرجع أعلى.
5. جاءت الرسالات لتصحيح صورة الله في الوعي الإنساني، لا لمجرد إثبات وجوده، وتحرير الإنسان من الصور المشوهة والمعبودات البديلة.
6. التوحيد في الرؤية الإسلامية يتجاوز الاعتقاد النظري؛ فهو تحرير للعقل والقلب والإرادة من الخضوع المطلق لأي شيء سوى الله.
7. كلمات الإمام علي "عليه السلام" توسّع مفهوم التوحيد؛ فمعرفة الله تبدأ بالمعرفة، وتكتمل بالتوحيد والإخلاص، مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقات.
8. الإله الحق لا يصنعه الإنسان وفق أهوائه، بل يسعى الإنسان إلى معرفة الله كما عرّف نفسه، مدركًا في الوقت نفسه أن العقل البشري لا يحيط بحقيقة الذات الإلهية.
9. الوثنية لم تنتهِ، وإنما تغيرت أدواتها؛ فالأصنام القديمة كانت تُرى، أما أصنام العصر الحديث فقد تسكن داخل العقل والوجدان.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

10. جوهر التوحيد هو أن يتحرر الإنسان من كل إله بديل؛ فلا يجعل المال أو السلطة أو الجماعة أو الشهرة أو الهوى مرجعية مطلقة في حياته.

خاتمة

ربما لم يتوقف الإنسان يومًا عن البحث عن الله، لكنه كثيرًا ما توقف عن مراجعة الصورة التي يحملها عنه، ولذلك فإن أخطر أنواع الضلال ليست إنكار وجود الله فحسب، بل الاعتقاد بأن الصورة التي رسمها الإنسان في ذهنه هي الله نفسه.

إن الإيمان الحقيقي يبدأ عندما يتحرر الإنسان من الآلهة التي صنعها خوفه أو هواه أو مجتمعه، ويبدأ رحلة التعرف إلى الله كما عرّف نفسه، لا كما ترغب النفس أن يكون، فكلما اقترب الإنسان من الحقيقة، صغرت أوهامه، وكلما تعاظمت أوهامه، ابتعد عن الحقيقة ولو ظن أنه يدافع عنها.

وهكذا يبقى السؤال مفتوحًا أمام كل إنسان: **هل أعبد الله، أم أعبد الصورة التي صنعتها عنه؟** وربما تكون الإجابة عن هذا السؤال هي الفاصل بين الإيمان الذي يحرر الإنسان، والإله المزيّف الذي يصنعه الإنسان ثم يقع أسيرًا له.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء -دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1J775330) بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٦، وهو مركز علمي بحثي يهتم بإجراء الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلا عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية الا بموافقة خطية صريحة ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

للتواصل

00964- 7710122232

Alfaidcenter2011@gmail.com

www.al-faidh.com

العراق - بغداد - الكرادة